الوقعة وما خرجت مع عمي باختياري وهذا معنى قوله وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وكان
شاور لما احس بخروج الفرنج الى مصر على تلك الحال سير الى اسد الدين يستنصره ويستنجده
فخرج مسرعا وكان وصوله الى مصر في شهر ربيع الاول سنة اربع وستين وخمسمائة ولما علم الفرنج
بوصول اسد الدين الى مصر على اتفاق بينه وبين اهلها رحلوا راجعين على اعقابهم ناكصين و
اقام اسد الدين بها يتردد اليه شاور في الاحيان وكان وعدهم بمال في مقابلة ما خسروه من النفقة
فلم يوصل اليهم شيئا وعلقت مخالب اسد الدين في البلاد وعلم انه متى وجد الفرنج فرصة اخذوا
البلاد وان شاور يلعب به تارة وبالفرنج اخرى وملاكها كانوا على البدعة المشهورة وتحقق
اسد الدين انه لا سبيل الى الاستيلاء على البلاد مع بقاء شاور فاجمع رايه على القبض عليه اذا خرج
اليه وكان الامراء الواصلون مع اسد الدين يترددون الى خدمة شاور وهو يخرج في الاحيان
الى اسد الدين ويجتمع به وكان يركب على عادة وزرائهم بالطبل والبوق والعلم ولم يتجاسر
على قبضه احد من الجماعة الا السلطان بنفسه وذلك انه لما سار اليهم تلقاه راكبا وسار الى جانبه
واخذ بتلابيبه وامر العسكر بان يقبض على اصحابه ففروا ونهبهم العسكر وانزل شاور الى خيمة
مفردة وفي الحال ورد توقيع على يد خادم خاص من جهة المصريين يقول لا بد من راسه جريا على
عادتهم في وزرائهم فحز راسه وارسل اليهم وسيروا الى اسد الدين خلع الوزارة فلبسها و
سار ودخل القصر وترتب وزيرا وذلك في سابع عشر ربيع الاول سنة اربع وستين وخمسمائة ودام
امرا ونهيا وصلاح الدين رحمه الله مباشر الامور مقرر لها لمكان كفايته ودرايته وحسن رايه
وسياسته الى الثاني والعشرين من جمادى الاخرة من السنة المذكورة فمات اسد الدين قلت وقد
تقدم حديث اسد الدين وصورة موته فلا حاجة الى شرحه ههنا وكذلك وفاة شاور وهذا الكلام
نقلته من كلام شيخنا ابن شداد في سيرة صلاح الدين لكنني اتيت منه بالمقصود وحذفت الباقي
ورايت بخطي في جملة مسودات ان اسد الدين دخل القاهرة يوم الاربعاء سابع شهر ربيع الاخر من
سنة اربع وستين وخمسمائة وخرج اليه العاضد بالله عبد الله العبيدي اخر ملوك مصر المقدم ذكره
فلقاه وحضر يوم الجمعة التاسع من الشهر الى الايوان وجلس الى جانب العاضد وخلع عليه واظهر له
شاور ودا كثيرا فطلب منه اسد الدين مالا ينفقه في عسكره فدافعه فارسل اليه ان الجند تغيرت قلوبهم
عليه بسبب عدم النفقة فاذا خرجت فكن حذرا منهم فلم يكترث شاور بكلامه وعزم ان يعمل دعوة
يستدعي اليها اسد الدين والعساكر الشامية ويقبض عليهم فاحس اسد الدين بذلك فاتفق
صلاح الدين وعز الدين جورديك النوري وغيرهما على قتل شاور واعلموا اسد الدين وكانت خيامه
على شاطئ النيل المعسكر فلم يجده في خيمته وكان قد راح الى زيارة تربة الامام الشافعي رضي الله عنه بالقرافة
فقال شاور نمضي اليه فالتقوه فساروا جميعا فاكتنفه صلاح الدين وجورديك وانزلاه عن
فرسه وكتفاه وهرب اصحابه فاخذوه اسيرا ولم يمكنهم قتله بغير اذن نور الدين وجعلوه في
خيمة ورسموا عليه جماعة فارسل العاضد يامرهم بقتله فقتلوه وسيروا راسه على رمح الى العاضد
وذلك يوم السبت لسبع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاخر من السنة المذكورة وقيل ان اسد
الدين لم يحضر ذلك بل لما قصد شاور جهة اسد الدين لقيه صلاح الدين وجورديك ومعهما
بعض العسكر فسلم بعضهم على بعض وتشاوروا ثم فعلوا به هذا الفعل والله اعلم ثم ان العاضد استدعى

اسد الدين عقيب قتل شاور وكان في الخيم فدخل القاهرة فراى جمعا كثيرا من العامة فخافهم فقال
لهم ان مولانا العاضد امركم بنهب دار شاور فتفرقوا ومضوا لنهبها ودخل على العاضد فتلقاه
وافاض عليه خلع الوزارة ولقبه الملك المنصور امير الجيوش ثم انه مات يوم الاحد لسبع
بقين من جمادى الاخرة من السنة المذكورة بعلة الخوانيق وقيل انه سم في خلعة الوزارة لما خلع
عليه وكانت بالقاهرة ودفن بدار الوزارة ثم نقل الى المدينة النبوية على ساكنها افضل الصلوة
والسلام والتحية وكانت مدة وزارته شهرين وخمسة ايام وقيل ان اسد الدين دخل على العاضد
يوم الاثنين التاسع عشر من ربيع الاخر من السنة المذكورة والله اعلم قلت وقد تقدم في ترجمة
شاور ذكر شيء من هذه الامور التي ذكرتها ههنا وانما اعدت الكلام فيها لانني استوفيتها
ههنا اكثر من هناك وايضا فان المقصود في هذا كله ذكر سيرة صلاح الدين وتنقلاته وما
جرى له من اوله الى اخره فاحببت ذكر ذلك على سياقة واحدة كي لا ينقطع الكلام فيبقى ابتر قال
ذكروا المورخون ان اسد الدين لما مات استقرت الامور بعده للسلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب
وتمهدت القواعد ومشى الحال على احسن الاوضاع وبذل الاموال وملك قلوب الرجال وهانت
عنده الدنيا فملكها وشكر نعمة الله عليه فتاب عن الخمر واعرض عن اسباب اللهو وتقمص
بقميص الجد والاجتهاد وما زال على قدم الخير وفعل ما يقربه الى الله تعالى الى ان مات قال شيخنا
ابن شداد وسمعته يقول رحمه الله تعالى لما يسر الله تعالى لي الديار المصرية علمت انه اراد فتح
الساحل لانه اوقع ذلك في نفسي ومن حينئذ استتب له الامر ما زال يشن الغارات على الفرنج
الى الكرك والشوبك وبلادهما وغشي الناس من سحائب الافضال والانعام ما لم يورخ من غير
تلك الايام وهذا كله وهو وزير متابع لكنه يقول بمذهب اهل السنة غارس في البلاد
اهل العلم والفقه والتصوف والدين والناس يهرعون اليه من كل صوب ويفدون
عليه من كل جانب وهو لا يخيب قاصدا ولا يعدم وافدا الى سنة خمس وستين وخمسمائة ولما
علم الفرنج ما جرى من المسلمين وعساكرهم وما تم للسلطان من استقامة الامور بالديار المصرية علموا
انه يملك بلادهم ويخرب ديارهم ويقلع اثارهم لما حدث له من القوة والملك واجتمع الفرنج
والروم جميعا فقصدوا دمياط ومعهم آلات الحصار وما يحتاجون اليه من العدد ولما سمع فرنج
الشام ذلك اشتد امرهم فسرقوا حصن عكار من المسلمين واسروا صاحبها وكان مملوكا لنور الدين
يقال له خطلخ العلم دار وذلك في شهر ربيع الاخر سنة خمس وستين ولما راى نور الدين
ظهور الفرنج ونزولهم على دمياط قصد شغل قلوبهم فنزل الكرك محاصرا في شعبان من السنة
المذكورة فقصده فرنج الساحل فرحل عنها وقصد لقاءهم فلم يقفوا له ثم بلغه وفاة مجد الدين ابن
الداية وكانت وفاته بحلب في شهر رمضان سنة خمس وستين فاشتغل قلبه لانه كان صاحب امره
وعاد يطلب الشام فبلغه امر الزلازل بحلب التي اخربت كثيرا من البلاد وكان في ثالث عشر شهر شوال
منها فسار يطلب حلب فبلغه خبر موت اخيه قطب الدين بالموصل قلت وقد ذكرت في ترجمته واسمه
مودود وانه بلغه الخبر وهو بتل باشر فسار من ليلته طالبا بلاد الموصل ولما بلغ صلاح الدين
قصد الافرنج دمياط استعد لهم بتجهيز الرجال وجمع الالات اليها ووعدهم بالامداد بالرجال
ان نزلوا عليهم وبالغ في العطايا والهبات وكان وزيرا متحكما لا يرد امره في شيء ثم نزل الافرنج عليها

Copyright © King Saud University